

من «المايسترو» إلى «حرقه» مخرج عالم لا يتعب

الأُسعد الوسلاتي

رؤية جريئة توجه دفة الدراما التونسية نحو العالمية



● اعتماد الوسلاتي المخرج بين الوثائقي والروائي كان لعبة ذكية للغاية، حيث لجأ إلى الكاميرا المتحركة القريبة من الشخصيات لتتناسب مع حساسية الموضوع الذي يتطلب طرحا قريبا للواقع يعرضه كما هو.



سنا عدوني
صحافية تونسية

● بأسلوبه في الدمج بين الوثائق والدراما رسخ المخرج التونسي الأسعد الوسلاتي في عمله الرمضاني المتوج بلقب أفضل مسلسل "حرقه" رؤية جديدة في نقل "حرقه" الواقع والألم المهاجرين. لم يكن مجرد ناقل لواقع اجتماعي إلى الجمهور، بل كان مبدعا في توظيف الدراما بصورة واقعية لنقل رحلة المهاجرين الهاربين من واقع ماساوي، بحثا عن أمل في حياة أفضل في أوروبا، بعد أن رموا أنفسهم في قارب بعرض البحر، تاركين وراءهم وجعا كبيرا وألما لا توصف ليصلطوا في ما بعد بواقع أكثر قسوة وغربة.

وعبر الاستعانة بمشاهد حقيقية من عائلات مهاجرين ممن دفنت أحلامهم في قاع البحر خلال رحلات الموت على قارب صغير، وثق الوسلاتي صورة فريدة في نقل ماضي المهاجرين الذين خسروا المخاطرة بالموت على العيش في بلد يسوده الفقر والفساد والمحسوبية والنظرة الدونية للأهالي العازبات والتهميش.

عاد الوسلاتي في شهر رمضان هذا العام بعمله الثاني ضمن مشروعه الهادف إلى إخراج ما سماها بـ"ثلاثية اجتماعية" بعد مسلسل "المايسترو" الذي سلط فيه الضوء على ظاهرة "الأطفال القصر" في الوحدات السجنية المختصة" أي "الإصلاحيات"، والذي حقق نجاحا باهرا العام الماضي. والآن في "حرقه" الذي يسافر مع المهاجرين في قواربهم الصغيرة نحو أوروبا.

رحلة الموت

من الحلقة الأولى يشهد المسلسل المشاهدين ألا من خلال الوعاء الفني الخارجي، والذي كان عنوانه "حرقه" وتعني "الهجرة غير النظامية" وما تشكله في المخيال الشعبي من الأم، لاسيما في تونس التي تشهد موجات هجرة متصاعدة. وثانيا من خلال الصورة الجديدة في صناعة أغلب مشاهد المسلسل في البحر، وكسر النمطية السائدة في المكان، ما أثار فضول الجمهور أكثر، وأيضا من خلال مستوى الموسيقى التصويرية الرفيع فكانت تربية حزينة تتصاعد شيئا فشيئا كطبيعة المسلسل في حزنه وفي تشويقها ونسق تطور أحداثه المتسارع.



مشروع الوسلاتي يهدف إلى تقديم ما سماها بـ"ثلاثية اجتماعية" بعد مسلسل «المايسترو» الذي سلط فيه الضوء على ظاهرة الأطفال القصر في الإصلاحيات، والذي حقق نجاحا باهرا العام الماضي. والآن في «حرقه» الذي يسافر مع المهاجرين في قواربهم الصغيرة نحو أوروبا

كما طرح المسلسل قضية الانتماء والهوية حيث ركز على إبراز العلاقة السببية بين الانتماء والهوية والهجرة في السؤال: لو كنا نشعر بالانتماء ولدينا نظرة أمل لماذا نفكر في الهجرة؟ وهي قضية مجتمعية جوهرية في تونس في الوقت الحالي أين صار الحلم بالهجرة الإخلاقية وسط هشاشة فكرية وسياسية يراود كثيرين من مختلف الفئات الثقافية والاجتماعية.

كاتبة السيناريو التونسية خليدة الشيباني تقول إن مسلسل "حرقه" ليس عملا توثيقيا بالمعنى العلمي للكلمة، وتضيف "هو عمل اجتماعي بامتياز يحاكي واقع فئدة معينة، هي فئة المهمشين وسط مجتمع تاكلت نظمه الأخلاقية وسط هشاشة فكرية وسياسية لكل فئات المجتمع". وتعتقد الشيباني أن السيناريست نجح بنسبة كبيرة في نقل واقع هذه الفئة الهاربة في واقع مرير وألا لأن المتفرج مستعد نفسيا للتعامل مع مثل هذا الموضوع لأنه موضوع حيني، وثانيا لأن المخرج نجح في طرح الموضوع من خلال مجموعة ممثلين ابدعوا في تقمص أدوارهم حد التماهي.

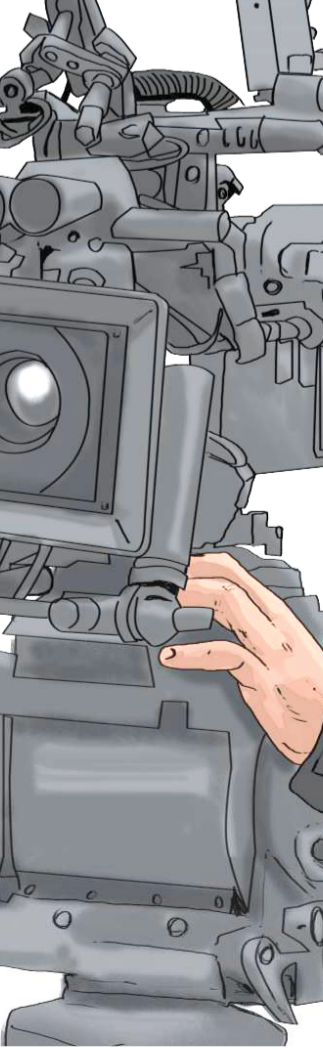
أما الممثل محمد علي زغرغر الذي شارك الوسلاتي في مسلسل "المايسترو" و"حرقه" فيصف الوسلاتي بأنه فنان هادئ في التصوير، ويوصل المعلومة بكل سلاسة ويحب الممثلين الذين يعملون معه، ويضيف زغرغر "أنا نحب معه حلمه ونشاركه طموحه ونتمنى مواصلة العمل معه". ووصف الممثل التونسي صعوبات التصوير في البحر ودور المخرج في تخفيف الإرهاق والتعب عن الجميع، وتشجيعه للممثلين وتحفيزهم على القيام بأداء ممتاز يليق بالمشهد التونسي.

أخيرا إن الوسلاتي يحمل من البداية تجربة لافتة، فثقافة الإنتاج رافقه خلال دراسته السينمائية، حيث نالت أفلامه القصيرة جوائز عدة في مهرجانات هواة السينما، ليكون فيلم "الخران" إنتاج المخرجة سلمى بكار انطلاقته المحترفة في عالم الفن السابع وتمكن هذا الفيلم برمزيته العميقة من الاستحواذ على توتيجات عدد كبير من المهرجانات الدولية بكل من فرنسا، إيطاليا، جنيف، روتردام، سان فرانسيسكو، طهران، دبي وطنجة.

ولهذا كله فقد توقع الوسلاتي نجاح المسلسل، لكنه لم يكن يتخيل أن يصل نجاحه إلى هذا الحد، أو أن يتبناه الجمهور بهذه الطريقة، على حد وصفه. وحتى الوقت الراهن توج المسلسل بنحو 50 جائزة كما من المنتظر أن يعرض في منصات وقنوات أوروبية وعالمية.

حساسية وحرارة الملفات التي يتناولها الوسلاتي يكشفها عمق التأثير الذي أحدثه المسلسل في وجدان المشاهدين الذين بكوا وتأثروا وتألما لما وثقه خلال زيارته للمهاجرين وأصحاب القوارب ممن شقوا أمواج البحر حاملين المئات من الشباب. وكان اعتماد المخرج بين الوثائقي والروائي لعبة ذكية للغاية، حيث اعتمد الوسلاتي الكاميرا المتحركة والقرب من الشخصيات لتتناسب مع حساسية الموضوع الذي يتطلب طرحا قريبا للواقع يعرضه كما هو.

وفي إطار المحتوى لم يتطرق العمل إلى ظاهرة الهجرة غير النظامية فحسب، بل تناول خلفياتها من الفقر والمحسوبية والفساد، وكشف قضايا العنصرية في مراكز الإيواء في إيطاليا وفي أوروبا من خلال تسلط الضوء على ظواهر التشغيل الهش والاستغلال الاقتصادي للأفارقة، وقضايا الإهمات العازبات وحق التنقل الذي يضمنه الدستور التونسي ومعاهدات واتفاقيات حقوق الإنسان الدولية.



في وجدان المشاهدين الذين بكوا وتأثروا وتألما لما وثقه خلال زيارته للمهاجرين وأصحاب القوارب ممن شقوا أمواج البحر حاملين المئات من الشباب. وكان اعتماد المخرج بين الوثائقي والروائي لعبة ذكية للغاية، حيث اعتمد الوسلاتي الكاميرا المتحركة والقرب من الشخصيات لتتناسب مع حساسية الموضوع الذي يتطلب طرحا قريبا للواقع يعرضه كما هو. هذا هو بلا تزيين أو تحريف وهذا تكمن قيمة القيمة الإبداعية لإضفاء الصبغة الحقيقية على العمل الدرامي. يقول عن ذلك "حرصنا على تناسب الديكور والتجميل والملابس مع الطرح إلى جانب الصور الحقيقية للمفوقين وعائلاتهم التي حركت أحاسيس المشاهدين وأوجعتهم. والناس أحسوا بالصدق في المشاهد وتفاعلوا معها، لقد تعاملت مع المشاهد كأنه شخصية وشريك في العمل".

أبعاد سياسية واجتماعية العمل يستهدف في مضمونه الثري لفت انتباه السلطات إلى أهم ملف حارق وهو ظاهرة الهجرة غير النظامية والبحث عن المهاجرين المفقودين، يوضح الوسلاتي ذلك بالقول "في 'حرقه' حاولنا تغيير أشياء، لا نهدف للحشد من ظاهرة الهجرة غير النظامية، بقدر ما نسعى على الأقل إلى دفع الدولة لحماية أبنائها، فالهجرة كما كشف المسلسل ليست جنة".

حساسية وحرارة الملفات التي يتناولها الوسلاتي يكشفها عمق التأثير الذي أحدثه المسلسل

في محاولة لتقديم المشهد من زوايا مختلفة ويكسور تنبض بالحياة، كما أنه حريص على اختيار الممثلين الذين يحملون قدرا من الواقعية حتى ينجح العمل في الوصول إلى قلوب الناس وتحريك مشاعرهم وجعلهم يفكرون، بالإضافة إلى محاولات الأسعد المستمرة في أن تكون أعماله منسجمة مع المعايير العالمية المعمول بها. يؤكد الوسلاتي أن اختياره للممثلين في "حرقه" والذي يعد أغلبهم من نفس أسرة مسلسله السابق إنما يعكس الحلم المشترك الذي يتبناه معه مجموعة من الممثلين الذين يقاسمونه هذا الطموح. ويقول "من منطلق تجريبي المسرحية في مسرح الهواة في محافظة الكاف، اعتبر أن أي سيناريو ممتاز لا ينجح دون اختيار مناسب للممثلين، أنا أريد التعامل مع ممثلين يؤمنون بالمشروع وليس مع من يريد الظهور فقط". ويحاول الاستمرار في تجارب الممثلين في الحياة فهو لا يتوجه بالضرورة إلى الممثلين ذوي التكوين الأكاديمي المسرحي بل يركز على حياتهم وأحاسيسهم الخاصة، لأن ذلك يدعم العمل ويساعده كمخرج في تأطيره وإدارته. بالمقابل، سعى الوسلاتي إلى استجلاب ممثلين جدد، وهو يؤكد أن هذه الخطوة نابعة من رغبته في توسيع نطاق الحلم وتوسيع بني المشروع فهو الباحث عن ممثلين يمنحون الوقت والروح والحب والشغف والانتماء للعمل.

كما جلبت طريقة التصوير من موقع عال ويعد للقاء باستخدام "الدرون" اهتمام المشاهدين، فضلا عن دقة اختيار الممثلين الذين أتقنوا أدوارهم حد التماهي وهنا يجمع نقاد سينمائيون على أن الممثلين ساهموا بشكل لافت في إنجاح المسلسل.

التكامل بين النص والصورة ولد الوسلاتي عام 1979 في محافظة الكاف المعروفة بالفن والتي تضم مراكز عديدة للفنون الدرامية، ويتسم أهلها بالتعلق بالخصوص والأساطير وفن الحكيم. ومن هناك استلهم الوسلاتي شغفه ثم انطلق إلى محاولات الأسعد المستمرة في أن تكون أعماله منسجمة مع المعايير العالمية المعمول بها.

يؤكد الوسلاتي أن اختياره للممثلين في "حرقه" والذي يعد أغلبهم من نفس أسرة مسلسله السابق إنما يعكس الحلم المشترك الذي يتبناه معه مجموعة من الممثلين الذين يقاسمونه هذا الطموح. ويقول "من منطلق تجريبي المسرحية في مسرح الهواة في محافظة الكاف، اعتبر أن أي سيناريو ممتاز لا ينجح دون اختيار مناسب للممثلين، أنا أريد التعامل مع ممثلين يؤمنون بالمشروع وليس مع من يريد الظهور فقط".

ويحاول الاستمرار في تجارب الممثلين في الحياة فهو لا يتوجه بالضرورة إلى الممثلين ذوي التكوين الأكاديمي المسرحي بل يركز على حياتهم وأحاسيسهم الخاصة، لأن ذلك يدعم العمل ويساعده كمخرج في تأطيره وإدارته. بالمقابل، سعى الوسلاتي إلى استجلاب ممثلين جدد، وهو يؤكد أن هذه الخطوة نابعة من رغبته في توسيع نطاق الحلم وتوسيع بني المشروع فهو الباحث عن ممثلين يمنحون الوقت والروح والحب والشغف والانتماء للعمل.

حساسية وحرارة الملفات التي يتناولها الوسلاتي يكشفها عمق التأثير الذي أحدثه المسلسل

إنسانيا بطريقة مثالية وتتقاطع في هواجسنا ومشاعرنا الاجتماعية التي نريد التطرق إليها. ويضيف "حينما أرسم طريق الشخصيات والمعالجة الدرامية يكون النص الذي يكتبه الحكيم ملائما ومنسجما تماما مع طرحي فهو من كتاب السيناريو المثقفين، وعند إعداد 'حرقه' سافرت إلى سيسيليا الإيطالية وزرت مراكز إيواء للمهاجرين، وعماد من جهته قابل أسير مفقودين ومهاجرين في تونس وجمعنا معلومات ليكون العمل مزيجا بين الوثائقي والدرامي". أما الحكيم فيقول للصحيفة "من الأشياء التي تميز الوسلاتي هي طريقة تعامله مع السيناريو، فهو يحاول الاقتراب قدر الإمكان من الشخصيات من خلال لقطات قريبة مسلطة على الشخصيات، لذلك فهو يحاول إظهار خلفيات كل الشخصيات